كان في جوهر الحياة السياسية من خلال نتاجه

ياسين النصيِّر

ترتبط الحداثة في القصة العراقية بكاتبين مهمين ظهرا في الخمسينيات هما : عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي. وكانا من جيل شاب بدا التعامل مع الثقافة من موقع فكري وعائلي متميز. كلاهما كان من أبناء الطبقة الوسطى المتميزة ثقافيا واجتماعيا. ولذلك لا تجد الثقافة عندهم ترفا ولا موقفا آنيا بل تأصيلاً لوجود هذه الطبقة في مكونات المجتمع العراقي وجودا قارا وفاعلاً فهي الطبقة العريقة التي أنشأت كل الأبناء القياديين في المجتمع. وعندما استوت على شيء من القوة المعرفية والاقتصادية تمكنت من السياسة فقادت العراق إلى مواقع قد نختلف معها أو نتفق ولكنها كانت العصب الاقتصادي والثقافي لكل أبنية المجتمع العراقي وأنشطته.

كان لفؤاد التكرلي أخ يكبره هو نهاد التكرلي وهما من المثقفين الذين نشأوا في أسرة غنية وذات مكانة اجتماعية عريقة. وكانا يعرفان اللغات الأخرى ويديران حوارا بين أصدقاء مثقفين شكلوا نواة الحداثة في العراق فقد كانت مقهى البرازيلية مكانا للبياتي والسياب وحسين مردان وأكرم الوتري ونهاد التكرلي وفؤاد التكرلي وجواد سليم وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم. ومن داخل نواة التحديث هذه. في الخمسينيات كانوا يطلون من نوافذ المقهى البرازيلية على حركة الشارع اليومية على الناس وعلى البضاعة والأسواق وعلى المتغيرات الفكرية وكانوا يتبادلون قراء الكتب الحديثة التي تصلهم من بيروت والقاهرة. وفي الوقت نفسه يطلون على الكتب الأجنبية التي كانت تجلبها مكتبة مكنزي، أول مكتبة للثقافة الإنكليزية في العراق. وفي الوقت نفسه يديرون حوارا عن التجديد والجديد الذي يحدث هنا في العراق حيث كانت الخمسينات نواة حقيقية على مستوى الشارع الثقافي والسياسي، وهناك في مصر ولبنان حيث وجدت الثقافة مجالها في النشر والذيوع وكانت مجلة الآداب النافذة المشرعة على الحديث في الثقافة العربية والأجنبية. فالمشروع التحديثي للثقافة في العراق كان بإرادة أفراد وجدوا في الأشكال الفنية الجديدة أسلوبا يستوعب الواقع العراقي الذي لم تعد الأشكال الفنية القديمة قادرة على احتوائه وتطويره. هكذا بدا عبد الملك نوري وهو يستبطن " الرجل الصغير" الشخصية التي أبتكرها للقص، وفؤاد التكرلي الذي استبطن الإنسان المثقف الواعي لما يجري له في محيطة ثم مكونا السؤال الوجودي عن معنى وجوده وقيمته في الحياة. فكانت الشخصية وعاء استوعب ثقافته ووضع على لسانها مشكلات المجتمع العراقي.

ومن خلال حماس الدكتور علي جواد الطاهر لهما وللقصة العراقية الحديثة أصدر كتابا عن القصة أحتوى نماذج عنها شمل إلى جوارهم قصاصين آخرين بينهم القاص المبدع مهدي عيسى الصقر ومحمود الظاهر ومحمد روزنامجي ونزار عباس ونزار سليم وعبد الله نيازي. وكانت الدراسة دراسة نقدية تنبأت لريادة التكرلي في القصة.

في مجموعته القصصية الأولى " الوجه الآخر" ١٩٥٤التي حملت عنوان قصته القصيرة الطويلة عرض التكرلي نموذجا اجتماعيا ممثلا بشخصية مثقف مسحوق تتبادله النوازع النفسية في الوجود وظروف الواقع القاسي الذي يضيق عليه خناق العيش والقول.وكانت القصة فاتحة عهد جديد للقصة العراقية التي وجدت في النموذج الشعبي ما يمكن أن يكون مثالا لها يجاري به القصة العالمية. وقد لقيت الوجه الآخر مديحا ونقدا من قبل كل قرائها وتعد لليوم واحدة من القصص التي لا يتجاوزها الدرس النقدي. ويصمت فؤاد التكرلي أكثر من عشرين سنة لينتج روايته الكبيرة والمهمة " الرجع البعيد" وتتحدث عن الفترة التي أعقبت ثورة تموز ٥٨ وما حدث للعراق فيها من انقلابات وتطورات على كل مستويات البنية الفكرية والثقافية والسياسية والإنسانية فاستل شخوصه من بين الفئات الوسطية المتلئة بالثقافة والمواقف الوطنية وطرحها على أرضية المجتمع العراقي المضطرب والمشحون بالتوتر والمواقف الناقصة ليظهر لنا نموذجا مركبا من البحث عن وجوده القلق في مجتمع مضطرب. ثم أنتج بعدها مجموعة من القصص القصيرة ومجموعة من الحواريات، أبرزها مسرحية " الصخرة" تلك الكتلة التي تقف في الطريق مستدعية الحديث عنها بوصفها مشكلة بحد ذاتها. وقد تبدو المسالة شكلية هي أن توجد صخرة كبيرة تقطع طريق الناس وتمنعهم من المرور ، لكن الحداثة لا تبدأ بالمألوف الغريب. ومهمتها أن تثير سؤالا إشكاليا عن إمكانية الحلول وتعددها. وفي هذا النص الجميل والممتلئ شعرا. الذي أخرجه الفنان سامي عبد الحميد عام ١٩٦٧ للجمعية البغدادية في الصليخ بدأ التكرلي بمعاينة المجتمع العراقي من الداخل، من تلك البنية المضمرة ، الغنية بالدلالة والتي لا تثير إلا الأسئلة الوجودية. وفي هذا المسعى الحديث يجمع القاص بين أسلوبية القصة القصيرة والمسرحية دون أن يكون لأحدهم. فقد حاول في هذا النموذج من الكتابة القصصية – المسرحية أن يختط له أسلوبية في القول الحواري، دون أن يرتبط بنوع فني معين، فمهمته أن يرى التداخل الأسلوبي جزء من التداخل بين أساليب القول الشعبي. وقد لا يكون موفقا دائما في مثل هذه الكتابات إلا في إطار أنه عالج فيها ما يمكن أن يوثق ارتباطه بمشكلات الإنسان المثقف. ذلك الذي يضع السؤال عن الوجود بجوار السؤال عن بحثه للقوت اليومي. فالتكرلي قاص يرى من خلال فن القص أن في تركيبة المثقف العراقي ما يمكنه أن يكون صوتا للجماعة المقهورة. وليس مفرداً. هذا الاستبطان الجماعي لصوت المفرد هو من أهم ميزاته الفنية في تلك المرحلة والتي جلبت اليه انتباه النقد التقدمي. ففي الحياة العراقية الشعبية، ما يمكنه أن يوازي به ما في الحياة الغربية. فالكتابة عن أحداث المجتمع عند فؤاد التكرلي لا تعيد النص إلى منطق الحكاية والحدوتة الشعبية، بل تنهض به إلى مصاف الفنية العالية والقول الذي يرتبط بإنسان حديث له رؤية وموقف فلسفي واضح..

بعد مجموعته القصصية الوجه الآخر، وروايته الرجع البعيد، ١٩٨٠ يعود التكرلي ثانية للمجتمع العراقي ، وهذه المرة في رواية مهمة أخرى هي "خاتم الرمل" ثم رواية مهمة أخرى" المسرات والأوجاع ١٩٩٨". وفيها يؤكد على أهمية الحدث الاجتماعي الذي تتلبسه الأحداث السياسية وفي هذه الرواية الكبيرة والمهمة يعود التكرلي ثانية إلى أسلوبية فن الرواية الاجتماعية – الحديثة. التي يؤكد فيها صوت الريادة عندما يكتشف في المألوف الحياتي نموذجا إنسانيا كبيرا يعبر من خلاله عن مواقف الفئات الاجتماعية العريضة المحملة بذات وجودية قلقة وبحث عن مصير جماعي للناس، فالمحن السياسية لم تكن محنا معزولة في عرف التكرلي عن الحياة للرجل العراقي البسيط ولكنه كان ينظر إليها من خارج الإيديولوجية المعلنة فله هو أيديولوجيته التي يرى من خلالها ارتكاس وتطور المجتمع العراقي. فهو وغائب طعمة فرمان لوحدهم من يميز بين بناء الجملة في الرواية وبناء الجملة في القصة القصيرة.هنا في الرواية لا تنشد الجملة ولا العبارة ولا الفقرة ولا الفصل نهاية أو حسما لقضية كل شيء يمتد ويستطيل كما لو أن بناءه المعماري المشيد على أرض الواقع يستطيل ويعلو وعلى القارئ أن يتابعه في حقائقه اليومية المباشرة أو تأويلاته الفنية والنقدية المضمرة أنه قاص رائد بحق والقصة العربية تفتخر به إلى الحد الذي تميز بين أقرانه العرب ليفوز بأهم جائزة نقدية عن القصة والرواية هي جائزة سلطان العويس.

في أبعاد الحداثة القصصية التي نهضت في الخمسينات نجد وجها آخر لثقافتنا لا يتمثل هذه المرة في نتاج دن آخر بل في كل النتاج من رسم وشعر وقصة ومقالة وعمارة لرسم خارطة متسعة للإبداع. وهذا ما جعل منهجية التكرلي في القص أرضية لقصص الستينيات، الآمر الذي يجعل فن القصة الحديثة منفتحا على العقود والتجارب. وفي الستينيات حيث صمت التكرلي ونهض جيل كامل من القاصين الشباب كان التكرلي يرى في ما ينتجه القاصون الجدد طريقة منفتحة على التطوير والتجديد ولكن لم يقترب منها كثيراً.

على المستوى الاجتماعي والسياسي حاول التكرلي أن يكون في جوهر الحياة السياسية من خلال نتاجه القصصي، دون أن يكون منتميا لأي اتجاه سياسي معين. وطوال التعامل مع أحداث المجتمع العراقي كان في صف التيار التقدمي الذي لولاه لما مكنته رؤيته الفنية – النقدية للمجتمع من أن يكتب قصصا تتحدث عن مشكلات اجتماعية. ومنذ أواسط الثمانينيات تقاعد التكرلي من مهنة القضاء العراقي وتفرغ للكتابة. ومنذ التسعينيات غادر العراق بعد أن رأى فيه ما يمكن أن يكون مستقرا للنتاج دون أن يطرق بابه أحد زبانية الثقافة ليقول له أن أكتب قصة عن الحرب. ومنذ ذلك الوقت يعيش التكرلي في تونس ضمن مؤسسة إعلامية يطل من خلالها على كل ما يجري في الوطن العربي.

في الذاكرة القصصية لفؤاد التكرلي. لا تستحضر نماذج من القول القصصي العربي إلا القديم منها . أما ما يستحضر من القصص العالمي فكثير جداً ولعل هذه الموازنة بين أسلوبية القص العربي القديم وأسلوبية القصص الأوربية الحديثة هو ما يجعل التكرلي واحدا من رواد نهضة أسلوبية واجتماعية تنأى بالنتاج المحلي إلى مصاف العالمية.

التكرلي كرس ابداعه المتميز للانسان

محمود عبد الوهاب

برحيل الروائي الكبير الصديق فؤاد التكرلي، فقدت الرواية العراقية رائداً كبيراً وروائياً عالي المهارة، كرس ابداعه المتميز للإنحيار إلى الانسان في صراعه من اجل حريته وكينونته. لقد ترك الراحل الكبير ميراثاً غنياً في الرواية العراقية، عبر فيها عن هموم الانسان العراقي وملامح شخصيته مصوراً بمهارة فائقة البيئة البغدادية في خصائصها الاصيلة الموروثة.

لقد كان فؤاد التكرلي الرائد والمعلم والصديق وستظل رواياته نموذجاً لفن الرواية الأصيلة والرصينة ابداً.

أي قلب توقف عن الخفقان؟

فاضل السلطاني

أي قلب توقف عن الخفقان؟ لقد فقدت الحياة واحداً من أبنائها النادرين. والذين يعرفون فؤاد التكرلي شخصياً، والذين تعاملوا مع الإنسان المحتجب وراء شخوصه، الخالدين بدورهم في ذاكرة الأدب القصصي والروائي، لا يجدون أية مبالغة في قولي هذا. كان التكرلي، بكلمة واحدة، إنساناً مختلفاً. وأعني أنه كان واحداً من الندرة الذين حققوا هذه المعادلة الصعبة في تلك العصور: التوافق الفريد بين الإنسان والمبدع.

تعاملت شخصياً طويلاً مع فؤاد التكرلي، عبر اللقاءات النادرة في لندن ودمشق وأخيراً في أربيل حين أطل علينا شبحاً يتداعى، ولم أكد أعرفه، وهو يختفي في كرسيه كتلة من عظم. وفي كل لقاء، كان يثبت أنه لا يزال محافظاً على تلك الصفة النادرة، التي حققها بعد نضال قاس مع النفس.

لم يكن فؤاد التكرلي، وهو الكبير فعلاً، مصاباً بعقدة البغيضة التي أصيب بها للأسف كثير من مبدعينا" الكبار" وغير الكبار.

حين اتصلت به في فترة الإعداد لمجلة" أقواس" ليساهم بمقال عن تجربته الأدبية، لم يتوقف أمام التفاصيل قط، كما فعل كثيرون عبر أسئلة مواربة تثير التشكيك والتيئيس، بل فرح فرح طفل بريء بهذا المشروع الثقافي الجديد. وبعد يومين فقط، تسلمت مقاله بخط يده، رغم وضعه المرضي العصيب.

بعد أيام اتصل بي تليفونياً، لا ليسأل عن مقاله، بل عن المجلة، وإذا كانت ستصدر فعلاً ، وحين أجبته بالإيجاب، لم يصدق.

" لماذا يا أستاذ فؤاد؟ المجلة ستصدر، ومقالك الجميل يتصدرها".

" آسف جداً. ليس قصدي. ولكننا اعتدنا على المشاريع الفاشلة".

كنت استشرته حتى باسم المجلة. وكان لا يكتفي بالكتابة، بل يتصل تليفونياً بين فترة وأخرى. ومن هنا، فإن " أقواس" هي، بمعنى من المعاني، بنت فؤاد التكرلي الروحية، التي غادرها قبل أيام فقط من ولادتها.

فأي حزن!

وهذا ليس غريباً على فؤاد التكرلي الذي كان أستاذاً لكثيرين، حتى لمجايليه.

يذكر أستاذ آخر هوعلي الشوك، صديق عمر التكرلي، في مقالة تنشر في العدد الاول من "أقواس".

"بعد أن تركت العراق في ١٩٧٩، أتيح لي، فورا تقريبا، ان أمر بتجربة شخصية (سأقول عاطفية) في برلين (الشرقية)، شجعتني على كتابة رواية. فكتبت عملا روائيا في غضون شهرين فقط.

فتملكني الغرور هنا، وخيِّل اليّ أنني سأستطيع التفرغ للكتابة الروائية. لكنني عندما عرضت المخطوطة على الصديق فؤاد التكرلي، نصحني بعدم نشرها.

لقد أخذ الشوك بنصيحة التكرلي، وتخليت عن فكرة التفرغ للكتابة الروائية.

بعد حوالي عشرين سنة، سيعرض علي الشوك مشروع رواية أخرى على التكرلي، الذي سينصحه، هذه المرة، بنشرها.

لم يكن فؤاد التكرلي أستاذاً كبيراً فقط، بل تلميذ كبير أيضاً. فهو لم يكف يوماً عن فعل القراءة، شعراً ورواية ودراسات، حتى توقف قلبه الكبير.

التكرلي شكل ركناً اساسياً في الرواية

القاص / محمد خضير

برحيل الروائي فؤاد التكرلي، فقد الأدب الروائي العراقي، ركناً من اركان التأسيس الحديث بخطاب معاصر ارتفع مع ارتفاع الطبقة الوسطية في المدينة العراقية، اذ قدمت رواياته شخصيات تتميز بوعي مدني لتغيرات الواقع العراقي خلال خمسينيات القرن الماضي وستينياته. ترك لنا فؤاد التكرلي اعمالاً قصصية وروائية تحتوي على تقنيات سردية حديثة، ونماذج انسانية واقعية، تعي اغترابها وحياتها في وسط الواقع الاجتماعي العراقي.

وبعد ان هاجرت الرواية العراقية إلى خارج الوطن، استطاع فؤاد ان يعيش الواقع المتغير بجوانبه المتعددة ونماذجه المتغيرة.

آخر لقاء جمعني بفؤاد في اربيل، استطعت ان اتلمس ذرائع قناعه الحي الغروب الوشيك لأولئك الابطال الذين طالما تنفسوا النسمات الاخيرة من هواء شارع الرشيد بعد خروجهم من خان المسرات والاوجاع وهم يسرعون في الدخول إلى عالم الشارع الآخر.

رحم الله فؤاد فقد ذكرنا بأن لنا ادباً روائياً ينبغي لنا ان نسترجع نبضه الحي لنستمر في طريقه.

كان بحضوره معنى عميق

د. لؤي حمزة عباس

لم يشكل فؤاد التكرلي علامة خارقة في السرد العراقي الحديث فحسب، وانما كان بحضوره معنى (عميق) تجلى من خلال ايمانه بالثقافة ودورها في بناء الحياة.

لم يكن فؤاد التكرلي، بعيداً عن اروحنا وتطلعاتنا وانما كان قريباً إلى الدرجة التي توهجت فيها نصوصه القصصية داخل مشهدنا الكتابي، على الرغم من فاصلة نصف القرن التي تقف بيننا وبينه، مثلما يمكن ان نذكر بإعتزاز خطوته التأسيسية في كتابة الرواية (فالرجع البعيد) اعادت توجيه الرواية العراقية مثلما جددت فهمها للواقع وللانسان.

وضع فؤاد التكرلي قلمه جانبا ومات

نزار عبد الستار

هذه قصة ايضا ولكن الموت لا يعد نهاية فنية. التكرلي واحد من الذين قتلوا الكثير من الابطال على الورق لكن الورق ايضا هو خلود التكرلي وابطاله الذين يموتون في القصص.

ان يغادرنا احد الذين عملوا على تأجيج مشاعرنا: حبا وكرها ورغبات، هو امر لا بد من ان يؤخذ بالكثير من الشجن والاسى. شخص كهذا لابد من ان يكون على علاقة متينة بوجودنا المؤقت في الحياة؛ فوظائفنا الحيوية تعمل وفق ما ندرك من حب وجنون ومشاعر متصارعة لهذا نحن نتعلق بالخيال اكثر من أي شيء آخر ونأسف حين نعرف ان احدهم لم يعد بمقدوره الاستمرار في رواية القصص.

التكرلي احد امهر الذين كانوا يقصون لنا القصص، ويشبعون احلامنا سرا وعلنا. التكرلي اعطانا رسما جماليا للنساء، والفقر، والاحلام. كان يحمل في طيات اوراق كتبه ذكريات الروائح الاولى: احضان امهات، وعبق ملابس، واناقة فاتنات، ودقائق اعوام يوجعنا حنيننا اليها، وموسيقى امسيات تمد قلوبنا بيقين الحلم وازليته.

التكرلي قبل ان يموت كان واحدا من اهم معالم الذكريات. رجل يصنع الكلمات لتكون عونا لنا. رجل يغامر في نشر اوجاعه ومسراته من اجل ان تكون هناك بسمة شفافة على وجه ناعس.

الذين يروون القصص هم ثراؤنا الاكبر والتكرلي كان امهرهم واكثرهم حساسية وادقهم في ملء الوسائد بريش الخيال. نحن نتوجع لان كلمة الموت تعني اننا سننتظر كثيرا حتى ننجب كائنا مثل التكرلي

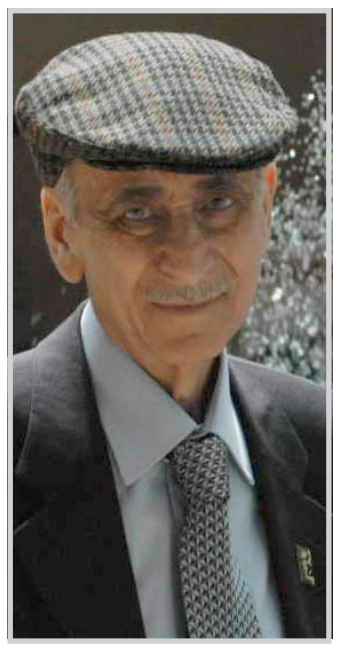

واننا نمضي قدما بكتب واوراق فقط.

التكرلي قبل ان يموت كان لا يعرف ان كلمة اضافية اخرى يكتبها بقلمه يمكن لها ان تهبنا صلابة اكثر. كان يأخذ وقتا من اجل ان يختلق قصة ما ولكنه لم يحسب كم اسرف في التأمل وفي التلذذ بمباهج الحواس وكم حبس او اهمل او نسي من كلمات.

هل حارب جيدا الزكام والمزاج غير الرائق؟.. هل قاوم تمرد عظام الشيخوخة؟. هل نفض عنه سكون الكسل ومشى الى القلم كما كان يفعل في السابق يوم كان لا يعرف انه سيكون التكرلي الجميل الذي لا مثيل له؟.

ليته فعل.

صعب ان يموت للعراق هذا التكرلي.

ها هو التكرلي محدقاً في " الوجه الآخر "

باقر جاسم محمد
كلية الآداب / جامعة بابل

ها هي أجزاؤنا تتساقط، وهو الموت يبتسم مرة اخرى لأن ضيفه هذه المرة هو المبدع الكبير فؤاد التكرلي، ذلك الذي كتب تعبيراً عن الاحترقات الروحية والفكرية التي تسكن نفسه. فالرجل كان قاضياً في خمسينيات القرن الماضي. وحين ترك القضاء بالتقاعد لم يتوقف عن مواصلة رحلته الابداعية.

كتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية. وكان هاجسه ان يعكس رؤيته للواقع دونما تزويق او اكسسوارات وذلك بحثاً عن أفق آخر للحياة. كتب عن الحصارات النفسية كما في قصة "سيمباثي" وكتب عن هيمنة الميتافيزيقا الدينية التي تجعل الزائر الايراني يذهل عن أزمته الخاصة تطلعاً لزيارة المرقد الشريف في كربلاء. وكتب رافضاً ما كان يجري في العراق وظل على موقفه النبيل حين انهار النظام السابق. فهل ينبغي لنا أن نفك أحجية "خاتم" الرمل حتى نقيم آصرة روحية مع الراحل الكبير؟ اعتقد بأن التكرلي يحدق الآن في الوجه الآخر الذي لم نره نحن بعد.. فهل من سبيل لكي نعلم منه ما رآه؟!

يبقى التكرلي علماً خالداً في الابداع وفي الحياة. ونأمل ان تنعقد حلقة دراسية عنه وعن جوانب ابداعه كافة، فالرجل يستحق ان نقف عندما كتب طويلاً. أليس كذلك؟